

لماذا هيمن المنحى السياسي على المسرح الشبابي العربي؟

المسرحيون العرب يجسدون واقع بلدانهم بين اليأس والصراع

لقد هيمنت المواضيع والأطروحات السياسية على المسرح العربي الشبابي من خلال العروض المقدمة مؤخرا من المحيط إلى الخليج. وقد يكون ذلك بتأثير من الواقع المشحون بالأحداث السياسية والصراعات. فكيف عالج المسرحيون المسائل السياسية المتشابكة والمعقدة مسرحيا؟



عواد علي
كاتب عراقي

هذا المهرجان المسرحي أو ذلك. ولذلك لا أدعي شمولية النماذج التي سأقف عليها في هذا المقال، بوصفها تجارب ذات مستوى إبداعي متقدم، تمثل وجهة نظر نقدية خاصة بي.

في اعتقادي أن القول بهيمنة المنحى السياسي على المسرح الشبابي العربي، وغياب التجديد عنه أمر يدعو إلى إعادة طرحه بصيغة السؤال الآتي: لماذا هيمن المنحى السياسي على المسرح الشبابي العربي؟ وهل غاب التجديد عنه؟ في رأيي إن حضور الموضوع السياسي بارز، بالتأكيد، في هذا المسرح، ذلك لأن الواقع العربي قائم تطفئ عليه مشاكل سياسية كبيرة ناتجة عن طبيعة الأنظمة الحاكمة القائمة على الاستبداد والشمولية، أو على نمط شكلي من الديمقراطية، إضافة إلى الصراعات بين القوى السياسية، والفقر والأزمات المعيشية التي تعاني منها شرائح واسعة من المواطنين، وأشكال التطرف والعنف والإرهاب المنتشرة في العديد من الدول العربية.

وبما أن المسرح، شأنه شأن الأجناس الفنية والأدبية الأخرى، يجب أن يكون على تماس مع الواقع، فإنه من الطبيعي أن يركز المشتغلون فيه على هذه المشاكل السياسية، وانعكاسها على حياة شعوبهم. ولو كانت هذه الشعوب مرفهة، ولا تعاني من أزمات سياسية واقتصادية، وتطرف وإرهاب، وانتهاك حقوق الإنسان والحريات الأساسية، وغياب العدالة والمساواة، إلخ. لما طغى الهم السياسي على أعمال المسرحيين، سواء أكانوا من الجيل الجديد أم من الجيل السابق.

وحيث نعترف بهيمنة هذا الهم على النتاج المسرحي، فإننا لا نستطيع أن نغفل الكثير من الموضوعات الاجتماعية والإنسانية والوجودية التي تناولتها تجارب مسرحية في هذا البلد العربي أو ذلك، كما أن مسألة التجديد أو الابتكار لم تغب عن العديد من الأعمال الشبابية ذات الطابع السياسي، ناهيك عن الظروف الصعبة (الرقابية والإنتاجية) التي تعرقل إبداعات الكثيرين منهم.

وتدليلا على نضج تجارب مسرحية للجيل الجديد من الناحية الفنية، بالرغم من كونها ذات منحى سياسي، أقف على ثلاثة نماذج من المسرح العراقي التونسي، في سبيل التمثيل، هي "صفر سالب"، "ستريبتيز" و"الأرامل".

عرضه "ستريبتيز" لفرقة مسرح بغداد



مسرحيات تفكك واقعا مأزوما

تعيش كل واحدة من هؤلاء النسوة مأساتها الخاصة من جهة، والمأساة الجماعية لرفيقاتها الأخريات من جهة أخرى. ومع انتشار قصتهن في الإعلام بشكل واسع تأخذ الأحداث منعطفا مغايرا، حين تتعرّف المرأة البسيطة على ضابط يتقرب إليها في خدعة لينتهي اعتصامهن، وهي تعتقد أنه يحبها وسيلبي طلباتها هي ورفيقتها بتسليمهن جنث أقبائهن، وحينما تكتشف النسوة خدعته يستأنفن اعتصامهن على نحو أقوى، لكن هذه المرة ليس بهدف الحصول على الجثامين أو إطلاق سراح رجالهن، بل حتى يغادر المتسلطون البلاد، وتتحرر من جورهم، ويحظين هن بحريتهن.

جسد طوبوي رؤيتها الإخراجية في لوحات عديدة، اشتملت كل واحدة منها على إبراز المشهدية البصرية الملائمة للحالة، فكانت منظومة العرض تجتمع كلها في كل لوحة، من أداء وسينوغرافيا، وبرعت في ربط هذه اللوحات بعضها ببعض بدقة عالية وانسيابية. وقد أشاد أكثر من ناقد بموهبتها الإخراجية، والإداء المتقن لممثلات العرض نادرة التومي، فأتت الشوايبي ونادرة ساسي، وقدرتهن على التعبير عن العذابات الداخلية للشخصيات، والتدرج في الوعي الذاتي والجمعي.

تعود، وقتها هي أصغرهم تعاني من القيود المفروضة عليها، وتمثل أنموذجا للمرأة في المجتمع الذكوري المغلق. وحين سُئل المخرج عما أراد إيصاله قال إنه حاول تعرية كل شيء في البلد: السياسة والثقافة والدين والفكر والإنسان نفسه، وكشف الوحش الكامن داخل النفوس، الذي ظهر بعد الاحتلال عام 2003، فكانت الأسئلة كبيرة مجسدة في هذه العائلة المتفككة القائمة على التقاطعات بين أفرادها.

وتسود أحداث مسرحية "الأرامل"، التي اقتبسها المخرجة التونسية فضاء طوبوي عن نص للكاتب التشيلي الأرجنتيني الأصل أرييل دورفمان يحمل العنوان ذاته، ونالت جوائز عديدة في أكثر من مهرجان حول ثلاث نساء مناضلات، واحدة كبيرة في السن اعتكفت السلطة زوجها، والثانية امرأة بسيطة أمية اعتقل زوجها والثالثة فتاة مثقفة اعتقل والدها، يعترضن على شاطئ البحر في إحدى القرى التي مزقتها الحرب، في دولة لم يجر تحديدها من أجل إضفاء بعد إنساني على المسرحية، لتطالب كل واحدة منهن بإعادة جثمان زوجها أو أبنائها أو أخيها، من الذين اعتقلوا بحجة أنهم منتمون خانوا بلادهم لأنهم اعترضوا على السلطة.

للممثل، الذي كتب نصه مخلد راسم، إلى تعرية الانقسامات والصراعات السياسية والثقافية التي يعيشها العراق بعد الاحتلال الأميركي، من خلال ما يجري في بيت أسرة عراقية يرمز إلى البلد.

خمسة أشخاص يشتركون جميعهم في لباس أحمر اللون (إشارة إلى الدم)، الأب رمز السلطة العليا، اتكالي وجبان باع الوطن مقابل سلامة نفسه، ينتهي مصيره إلى الموت خنقا، والأبناء على اختلافاتهم يرمزون إلى الشعب، يدور بينهم صراع يومي، ويحملون أحلاما بسيطة تتمثل بالخروج إلى الشارع، من دون الاصطدام بالجنث، أو الاستماع إلى أصوات إطلاق الرصاص، أو استنشاق رائحة الموت.

أما الابن الأكبر فهو متطرف فكريا يميل إلى الفكر الإخواني وتطبيق حد القتل والشرع، ويريد أن يرهبه الجميع، يفتع عين أخيه الأوسط، الخانع، غير المبالي بالآخرين ولا بهواجس المجموعة، المنشغل فقط بذاته. أما أصغرهم فهو أنموذج للإنسان المتسرد، الصارخ، الراغب في تجاوز كل ميعقات السلطة والحوار ليشرع بإنسانيته، ولا يزال يحلم بوطن سُرقت أحلامه، وأجهضت آمال أبنائه، لكنه يتعرض للذبح، ويوسط هؤلاء أم تخرج من البيت ولا

أما التجارب المسرحية غير السياسية فساختار نماذج منها في مقال لاحق، نظرا إلى ضيق المجال هنا.

تعرية الصراعات

شكّل عرض "صفر سالب" للمخرج علي ديم، الفائز بجائزة أفضل إخراج مناصفة مع عرض "الأرامل" لوفاء الطوبوي في أيام قرطاج المسرحية، تجربة كورغرافية مبدعة تناولت الواقع العراقي المساوي الراهن.

وبالرغم من قنامة العرض فقد أكد أن ثمة أملا لإعادة البناء. فالصفر يرمز إلى العرب لأنهم اخترعوا هذا الرقم، والسالب يرمز إلى سلبية أصحاب القرار الذين يجسدهم العرض على شكل خيال الظل، ويجحاول أحدهم صعود الدرج، وحين يصل إلى الباب يجده مغلقا فيتركه ويعود أدراجه.

وتنعكس سلبية أصحاب القرار على المجتمع الذي استسلم، أيضا، للباس. وبذلك حمل العرض، بصياغته البصرية القائمة على لغة الجسد، دعوة للمجتمع إلى التخلي عن سلبيته وعدم الاستسلام واليأس، والعمل على تغيير الواقع المساوي.

وسعى المخرج علاء حطمان، في عرضه "ستريبتيز" لفرقة مسرح بغداد

أفيينيون الدولي أكبر مهرجان مسرحي في العالم يعيد الأمل إلى الفن الرابع

بسبب الخلافات مع العاملين المؤقتين. وقد ألغيت الكثير من المهرجانات والفعاليات الثقافية خلال الصيف في فرنسا بسبب جائحة كوفيد - 19، وهو ما يحاول المهرجان تلافيه.

المهرجان يقدم 46 عملا مسرحيا إضافة إلى عروض رقص وأداء، وتشكل النساء للمرة الأولى نصف أصحاب العروض

وفي مطلع مارس الحالي احتل عاملون في المجال الثقافي مسرح أوديون في باريس إلى جانب مسارح أخرى، بما في بلدية باو جنوب غربي فرنسا وستراسبورغ.

وطالب الممثلون والفنيون وطلاب الدراما بإعادة فتح المواقع الثقافية بالإضافة إلى المساعدات المالية. وذلك على خلفية استمرار الإغلاق وتهديد قوت العاملين في القطاع المسرحي وغيره من القطاعات الفنية والثقافية الأخرى.

وسيعيد مهرجان أفيينيون الأمل للمسرحيين ومجبي المسرح في تجاوز حالة التشلل التي طالت الفن الرابع في مختلف أنحاء العالم خاصة وأنه لم ينجح في الانتقال على غرار الفنون الأخرى إلى المنصات الافتراضية.

كانت درجة في برنامج نسخته للسنة الماضية، فضلا عن عرض للراقص الإسباني إسراييل غالفان. وقدم خلال الأسبوع (23 إلى 30 أكتوبر الماضي) 35 عرضا في أماكن مختلفة يشتهر بها مهرجان مدينة أفيينيون. لكن ذلك لم يرض عشاق الفن الرابع ولا المسرحيين بالشكل الكافي، وهو ما دفع المنظمين إلى إقرار تنظيم المهرجان هذا العام، فبما لا يزال لم تتوضح بعد طريقة حضور الجمهور والفرق من خارج فرنسا.

ويعد مهرجان أفيينيون أشهر مهرجان مسرحي في العالم والأكثر عراقية، وقد نجح على امتداد دوراته الـ73 الماضية في أن يصبح واحدا من المواعيد الأساسية على أجندات صنّاع المسرح حول العالم، فخلال أيامه يبث المسرح روحه في كافة زوايا المدينة خلال شهر كامل (شهر يوليو)، وفيه تتم مناقشة وعرض ما يشغل ذهن المسرحيين من أسئلة وقضايا راهنة، ما يجعله المناسبة التي ينتظرها كل مسرحي العالم للالتقاء والإطلاع على الحركة المسرحية وعلى تنوع تجاربها.

ويؤمن المهرجان إيرادات تقدر بحوالي مئة مليون يورو للمدينة. ويتوقع أن يكون الإلغاء كارثيا على الآلاف من الفنانين والتقنيين ومن بينهم الكثير من العاملين المؤقتين.

ومنذ تأسيسه عام 1947 الغى المهرجان مرة واحدة في العام 2003

الغى في دورته الـ74 بسبب انتشار وباء كوفيد - 19، بعدما كان مقررا بين الثالث من يوليو والخامس والعشرين منه وهو الموعد السنوي الذي ينتظره محبو المسرح سنويا بكل شغف.

وفي المقابل أقام المهرجان في أكتوبر "أسبوع الفن" مع خمسة أعمال



المسرح يستعيد عافيته

باريس - يامل مهرجان أفيينيون الدولي للمسرح في أن يتمكن خلال يوليو المقبل من أن يقيم بطريقة مميزة دورته الخامسة والسبعين بعدما اضطر إلى إلغاء دورة العام الفائت بسبب الجائحة، وقد وضع لهذا الغرض ثلاثة سيناريوهات تتعلق بحضور الجمهور.

ومن المقرر أن تستضيف أفيينيون في جنوب شرق فرنسا، المعروفة بـ"مدينة البانوات"، من 5 إلى 25 يوليو هذه الدورة من المهرجان المسرحي الأبرز في العالم إلى جانب مهرجان إندبيرة. ولم يعلن المهرجان الفرنسي عن أي إجراءات تتعلق باستقبال نسبة محدودة من الجمهور أو عن طريقة حضور محبي الفن الرابع لمتابعة العروض ما طرح العديد من التساؤلات.

ويتضمن البرنامج 46 عملا مسرحيا إضافة إلى عروض في الرقص والأداء وتشكل النساء للمرة الأولى نسبة 46.5 في المئة من أصحاب المشاريع. وتؤدي الممثلة إيزابيل أوبير دورا في نسخة من إخراج البرتغالي تياغو رودريغيز لمسرحية "بستان الكرز" الشهيرة لتشيخوف.

وقال المدير الفني للمهرجان أوليفيه بي إن المهرجان هذه السنة سيكون "مميزا فعلا" ويتضمن 30 عرضا أكثر من المعتاد.

وعرض بي مقطع فيديو لوزارة الثقافة روزلين باشلو سجل قبل دخولها إلى المستشفى لإصابتها بفايروس